من تراب (٣٣٤) الخاتم والحديث الثالث (*) الطريق

طفنا معا رفق ومضات شاعرنا الحكيم محمد عبدالله محمد ، فى الحديث الثانى من قصيدته الخاتم بديوانه العارف .. ومحمد عبدالله محمد مفكر عميق شديد الإبحار فى الأعماق .. لم تعقه أوزان الشعر وبحوره وقوافيه وموسيقاه ، عن أن يستخرج الدر من أعماق الأعماق .. وهاهو يبدأ الحديث الثالث من قصيدته الخاتم بالعودة إلى البحر ، الذى منا من يكتفى بالعوم والطفو فيه ، ويأبى البعض إلاَّ أن يغوص ليفهم باحثا ومنقبا عن الحقيقة التى ينشدها أو ينشد الإيماء إليها وتجليتها ..

يقول أبى الروحى وأستاذى الشاعر الحكيم صاحب الأفضال محمد عبد الله محمد :

أعودُ إلى البَحْرِ الذى فيه كُلُّنَا ... يَعُوم فَيَطْفُو أو يَغُوصُ فَيَفْهمُ
حَيَاتُكَ فيهِ تَستَقِلُّ بِعَطْرِهَا ... وذا جَسَدٌ يَذْوِى عَلَيْكَ وَيَهْرَمُ
إِذا نَقَلَتْ كَفُّ الوِرَاثَةِ بَعْضَهُ ... إلى سِحْنَةِ الأحْفَاد يَخْفَى وَيَبْهَمُ
فأىُّ مَجِيدٍ فِي خِلافَةِ مَاجِدٍ ... يَمُتَّ إِلَيْه والطرِيقُ لَهُ الدَمُ

***

(*) المال١/ ١٠/ ٢٠٠٩

وأَحْفادُ عَقْلِي فى عُقولٍ دَخَلْتُـهاَ ... بِفِكرِى وغَاصَ الفِكْرُ فيها فأثْمَرَا
وَأَمْشِى بَهاَ عَبْرَ الدُهورِ كما مشَى ... ضِياَ النَّجْمِ قَد يَخْفَى ضِيَاهُ لِيَظْهَرَا
لأنَّ سَماءَ العَقْلِ يَحْفَظُ ضَـوْءَهاَ ... كَواكِبُها مِنْ أنْ يُحِيطَ بِها الثَّرَى
حَيَاتُكَ فيها لاَ يكـفُّ نَشَاطُهـاَ ... وَعيْنُكَ فيها كَمْ نُجُوبُ وكَمْ تَرَى

***

أخِى التَقَطَتْ أيْدِي الحَيَاةِ عُقولَنَـا ... بذُورًا فَنَمَّتْهـا لِتَسْكُـنَ غَابهاَ
وَتَرْقَى عَلَيْهَا أو لَبِنْسِجَ نَوْلُها ... حَبَائِلَ للدُنيَـا وَيفْتحَ بابهَا
فَتَنْفُذُ فى الثَّلْجِ الحياةُ وفى اللّظَى ... وتَملأُ أشواقُ الحياةِ رِحَابَهَـا
وَيُصْبِح كُلُّ الخَلْقِ فِكْرًا لأنَّها ... تَقَمصَّهَا عَقْلٌ ذَكِىٌّ وَجَابهَا

***

تَرىَ العيْنُ ظِلَّ الوَرْدِ بعضَ وُجُودِهِ ... وَتَعْجَبُ مَن وَرْدٍ وليس له ظِـلُّ
وما كُلُّ ما فى العيْنِ مُقلَتُهَـا التى ... تَرَى فهناك الوُدُّ والغمزُ والكُحْـلُ
وذاكَ امْتدَادٌ فى الوُجُـود به بَنَـى ... معانيهِ وَالمَبْنىُّ أغْلَبُـه شَكْـلُ
ومِنْهُ يِشِعُّ الحىُّ أعْجَبَ ضوئِـهِ ... وَيَحْلُو بِه وَجْهُ الحياةِ إذا يَحْلُـو

***

أرَاكَ خَيالًا ذا اشتيـاقٍ ومهجـةٍ ... تُحِبُّ وتَبْنِى مِن مَحَبَّتِهـا جِسْـرَا
لديْهَـا لَمِنْ يَخطُو عليهِ عَجَائِبٌ ... وللْرافِضِ المَرْفُوضِ ما أشْبَهَ الجُحْرَا
ولا بد من هذا لذَاك لأنَّهَـا ... وُجُوهٌ لنفس الشىءِ يَلْتمس للعُذْراَ
عَلَيْهَا أَقَامَ الجُحْرَ مَنْ كَـرِهَ الفَضَا ... وَيَعْشَقُ سُكْنَى الجَوِّ مَن صَنَعَ الوَكْرَا

***

تَهَزُّكَ للأعماقِ ليْلَى بِقُوتِهاَ وقد هَزَّ أعْمَاقَ الجياعِ رَغِيفُ
وليسَ يَرَى ليْلَىَ من البَطْنِ جائِعٌ ولكنْ يَرَى الأطْبَاقَ وهِىَ تَطُوفُ
حنانَك ما عَفَّ الجِياعُ وما هَفَتْ قلوبُهُمُ للحُبِّ وهو عَفِيفُ
ولكنْ هَفَتْ للأخْذِ يَزْحَفُ مَوْجُهُ ويَغْزُو وَيَقْسُو يَشْتهِى ويُخِيفُ

***

يقول محمد عبدالله محمد فى ختام الحديث الثالث :

تَعِيشُ كَلاَمًا كُلّما عِشْتَ حِقْبَةً بِهَا القِيمُ الكُبْرَى تَقَلَّصَ ظِلُّهاَ
كَأَنَّكَ شَخْصٌ دُسَّ ضِمْنَ روايةٍ ومُخرِجُهَا يَخْتَانُها ويَمَلُّهاَ
يُمَثِّلُ مَاذَا أو لِمَاذَا فَدَوْرُهُ تَقُوم بِهِ الأحْيَاء فى الكوْنِ كُلُّهَا
تَقَارَبَتْ القِيعانُ حَتَّى تَشابهَتْ تُلاقِى حَصاَهاَ أو يُلاقِيكَ رَمْلُهَا

*****